# الفصل السابع
# التنصير والاستشراق

صحيح أن هناك طائفة تسمى المستشرقين وأخرى تسمى المنصرين ولكن ليس هناك فروق جوهرية بين الطائفتين، النشاط التنصيري والنشاط الاستشراقي متشابه إلى حد كبير، والفروق فروق سطحية فقط لتوزيع العمل بينهما. فمثلاً طائفة المنصرين تركز على المدرسة والعلاج الطبي ومن خلاله تحاول أن توصل كتابهم المقدس بزعمهم إلى المسلمين وأن الخلاص تم له من المرض بواسطة يسوع، وترى هذه الطائفة أن المدرسة وطريقة التعليم هما المنصر الأول، وقد تقدم الكلام عن أهمية المدرسة ودورها في حركة التنصير والمستشرقون يركزون على الجامعات والمعاهد العليا والبحث العلمي وهو ليس بعلمي عندما يدرس الإسلام والمسلمين وأحوالهم ودراسات الشرق الإسلامي بصفة عامة وسوف يعرف القارئ تفاصيل منهم المستشرقين في الدراسات الإسلامية في الفصل الخاص بالمستشرقين ضمن هذه الدراسة.

ويتفق كل من المنصرين والمستشرقين أن التعليم له أهمية خاصة لتزييف وعي المسلم بدينه وتمسكه به والتدريس عندهم له مراحل تتابع المسلم في مراحله المختلفة ولتشغلوا به تدريجياً عن المنهج الإسلامي إلى المنهج البديل المعادي للإسلام. ويتخذ هذا المنهج الثقافة وسيلة له. وعلى هذا كل من المنصرين والمستشرقين يتفقون على الوسائل كما يتفقون على الغاية تبرر الوسيلة.

وفي مرحلة الإعداد للمنصرين والمستشرقين نجد تشابهاً إذ أن هناك مؤهلات

ضرورية لابد من توفرها في كل مستشرق وكل منصر وهي مؤهلات مشتركة نذكر منها:

أولاً: الدراسة اللاهوتية والتاريخية المتعمقة لليهودية والنصرانية وللكتاب المقدس القديم والجديد إلى ما يشمل التوراة والإنجيل ولهذه الدراسة أهداف هي:

١- تعميق وعي المستشرق والمنصر بدينه لمواجهة الدين الآخر وهو الإسلام مواجهة عقائدية.

٢- محاولة دعم الزعم الذي يردده جميع المستشرقين والمنصرين وهو أن الإسلام مأخوذ من اليهودية والنصرانية وأن القرآن مستمد من التوراة والإنجيل.

وهذه الدراسات تفسر لنا لماذا نجد كثيراً من المستشرقين فعلاً من القساوسة ورجال الكنيسة.

ثانياً: دراسة اللغة العربية ودراسة الإسلام ومصادره (القرآن والسنة) وجميع جوانبه تهدف هذه الدراسات إلى إثارة الشبهات والتشكيك في الإسلام.

يحكي الأستاذ إبراهيم خليل أحمد قسيساً وهداه الله إلى الإسلام، يقول إنه في فترة تدريبه على التنصير التحق بكلية اللاهوت الإنجيلية في مصر وهي كلية لتدريب المصريين تابعة لجامعة برتستوت في أمريكا ولا تخضع لأي إشراف من قبل وزارة التربية والتعليم أو وزارة التعليم العالي في مصر وأساتذة هذه الجامعة من الأمريكان، يدرس في هذه الكلية الإسلام. والردود على الإسلام وذلك بدراسة كتب المستشرقين، ونجد المؤتمر التنصيري العالمي الذي انعقد في ولاية كولورادو عام ١٩٧٨م، من توصياته للمنصرين العاملين وسط المسلمين أوصاهم باستخدام مراجع معينة عن الإسلام وهذه معظمها مراجع كتبها مستشرقون، وحدد المؤتمر مؤهلات المنصر فيما يلي:

١- التمكن من اللغة العربية والقرآن الكريم والمصادر الإسلامية.

٢- التحلي بالصبر والحزم في النقاش مع المسلمين.

٣- التعاطف مع المسلم حتى يقوده إلى الحقيقة المطلقة التي هي في نظرهم المسيح وغيره حقائق نسبية لاسيما الإسلام.

٤- الابتعاد عن الجدل والطرق القديمة التي تثير المشاكل.

٥- أن تكون لديه روح الأمل.

يتفق المنصرون والمستشرقون جميعاً على أن هدفهم العام هو ردة المسلم عن دينه إلى أي شيء آخر، فهم يكتبون بزحزحة المسلم عن دينه لاسيما مع المثقفين وذلك عن زحزحتهم إلى أي شيء آخر، فكان يصبح المسلم علمانياً أو يصبح تقدمياً، أو من أنصار التغريب والحداثة أو يكون من دعاة القومية أو ينتمي إلى دعوة التقارب بين الأديان أو يصبح اشتراكياً أو شيوعياً وهذه كلها أفضل عند المنصرين والمستشرقين من أن يظل المسلم على دينه، ويفضلون كذلك عندما يرتد المسلم إلا يجاهر بالردة عن دينه وأن يحتفظ باسمه القديم. وذلك لأن المسلم بالاسم والمظهر هما خاصان بالمنافق وهذا أشد خطراً على الإسلام. إذن هناك ارتباط وثيق بين الاستشراق والتنصير ويزيده قوة التطبيق العملي لمحاربة الإسلام من المستشرقين والمنصرين[١].

والاستشراق لا يقوم إلا على معرفة اللغات الشرقية وهي وسيلة للتعرف على الحضارات نجد التنصير يشترك معه في هذا الغرض.

والدافع الديني الذي يحرك المنصرين هو الدافع الأول في نشأة الاستشراق.

المستشرقون نشأوا في أحضان الكنيسة إذن هم منصرين بالدرجة الأولى ويمكننا أن نقول كل مستشرق منصر. لقد كان هناك تجاوب متبادل بين الاستشراق والتنصير إن لم يكن هناك تماثل في القصد بين المستشرق الأكاديمي والمبشر الإنجيلي ويمكننا القول بأن التحالف لا يزال مستمراً بشكل من الأشكال حتى العصر الحاضر[٢].

---

(١) أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، (لندن، المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ) ص٥٠-٥٤ بتصرف.

(٢) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الطبعة الأولى (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ١٤٠٤هـ) ص٢٧، ٢٨.